مجلة المعجمية - تونس

ع 5-6

1990

الخبـــر :
مفهومه ومنزلته في المعجم

بحث : محمد القاضي
كلية الآداب ـ جامعة تونس 1

ان الخوض في مسألة المعجم التاريخي وما يستوجبه إنجازه من جهد وما يترتب عنه من نفع للغة ومستعمليها يضطرنا الى إرساء أسس للتعامل مع المكتوب تختلف عما اجمع عليه أئمّة اللغة العرب القدامى ومن جرى مجراهم ذلـك ان غايتهم تختلف عن غايتنـا، فقـد كانـوا يضعون حدا فاصلا بين الفصيح من الكلام وغير الفصيح، فيثبتون الاول وينكـرون الثـاني معتبرين اياه دنسا وهجرا. وجعلوا للفصيح حدودا زمانية ومكانية لا يتجاوزها والا غدا الكلام لاغيا لا يعتدّ به ولا يحتـج، فمصنّفو المعاجم «انما أرادوا التفرقة الدقيقة بين الفصيح من العـربية وغـير الفصيح، وذلـك بوضـع قانـون للاستعمال الصحيح للكلمات، ويدل هذا الاتجاه ـ دون شك ـ على إحساس لغوي دقيق عند اللغويين، ولكنه عاق القوة الحيوية الدافعة في اللغة عن التقدم والتوسع»[1] فكانت المعاجم القديمة لذلك غير مهتمة برصد تحولات

(1) ـ أوجست فيشر: المعجم اللغوي التاريخي. ط 1. نشر مجمع اللغة العربية ـ القاهرة ـ 1967، ص 7.

المعنى التي تصيب بعض المفردات من خلال الاستعمال رصدا منتظما وانحصرت غايتها في اثبات المعنى النمطي القار والتجافي عمّا سوى ذلك.

اما غايتنا فتتمثل أساسا في العودة الى الكتب القديمة لتتبع مختلف المعاني اللائطة بكلمة «الخبر» فيها، اذ لن يكون بامكاننا ان نستنطق وجوه الاستعمال غير المدوّن في تلك الاعصر التي ارتبط فيها التدوين بالدين وبما حام حوله. غير أننا لن نقصر همّنا على المعاجم، بل سنوجّه وجهنا أيضا الى كتب الأدب التي توفر لنا مادة ثرّة متعددة الجوانب لا يزال بعضها في حال البكارة وما تحمله من نفرة واستعصاء. ولئن كنا ـ على هذا النحو ـ لا نصل بين معاني الكلمة في القديم ومعانيها المستحدثة، فان ما يهوّن علينا الامر أننا مقتحمون هذه المغامرة سعيا الى غايتين، أولاهما ضبط الدوائر التي يمكن ان تردّ اليها معاني كلمة الخبر باختلاف السياقات التي وردت فيها، وثانيتهما محاولة ارساء مشروع يضبط المراحل الكبرى التي قطعتها هذه الكلمة في مسيرتها.

قبل ان نعدّد المعاني المتصلة بالخبر ونحاول رصد وجوه التواصل والتنافر بين الاخبار وضروب المعارف التي اكبّ العرب على التاليف فيها منذ عصر التدوين لابد لنا من ان نتساءل عن التطور الذي سلكته هذه الكلمة، وقد رأينا ـ في هذا المقام ـ ان نهتدي بما وضعه «فيشر» من مبادىء لتحديد أهم المراحل التي قطعتها الكلمة، اذ رأى انه يحسن في ترتيب المعاني ان ينتقل المرء من العام الى الخاص، ومن الحسي الى العقلي، ومن الحقيقي الى المجازي[2] فكيف كان الامر في هذه الكلمة؟

علينا ان نقنع في هذا المجال بتتبع الكلمة في العربية لاننا لا نملك الى الآن معجما كافيا وافيا يتناول الكلمات العربية من حيث

(2) ـ م. ن. ص

اصولها وجذورها المشتركة في اللغات السامية الاخرى[3].

لذلك اعتمدنا على معجمين عربيين هما «القاموس المحيط» للفيروزابادي و«لسان العرب» لابن منظور، فوجدنا ان المعاني المندرجة في مادة «خ ب ر» على غير نظام فسعينا الى ترتيبها بعد ان أخضعناها لما كنا أشرنا اليه من مقاييس.

ان ما استرعى انتباهنا في معاني بعض الألفاظ المشتقة من الجذر الثلاثي «خ ب ر» ارتباطها بالماء، فالخَبْراءُ: منقع الماء، والخَبْرُ ج خُبُور: منقع الماء في الجبل، والخَبِرَةُ ج الخَبَارَى والخَبَارِي والخَبْرَاوَات والخَبَارُ، منقع الماء في أصوله.

ومن هذا المعنى الأساسي تفرع معنى ثان يربط بين هذا الجذر والارض، فالخَبْراءُ قاع مستدير يجتمع في الماء، والخَبْرُ: منبت السدر في القيعان، والخَبَارُ ارض رخوة تنعتع فيه الدواب، والخَبَارُ أيضا ما استرخى من الأرض وتحفر، وهو ما تهور وساخت فيه القوائم. وهو ما لان من الارض واسترخى. والصلة بين المعنى الاول اي الماء والمعنى الثاني اي الارض طبيعية فيزيائية، اذ الماء يجتمع في ما يشبه المستنقع ولا يكون ذلك الا في المواضع الواطئة.

ومن هذا المعنى تولّد معنى ثالث وهو ما تنبته الارض اذ الشأن في الارض المنخفضة التي يجتمع فيها المياه ان يظهر فيها النبات، فالخَبْرُ: شجر السدر والاراك وما حولها من العشب واحدته خَبْرَةٌ والخَبِيرُ الزرع والخَبِيرُ: النبات وفي حديث طهفة: نَسْتَخْلِبُ الخَبِيرَ أي نقطع النبات والعشب ونأكله. فمن الطبيعي ان يتصل النبات بالزراعة فالخَبْر: ان تزرع على النصف او الثلث من هذا، وهي المخابرة اي

(3) – فيليب حتي: تاريخ العرب. ج 1.
Henri,Fleish: Introduction à l'étude des langues sémitiques. Adrien-Maisonneuse: Paris, 1947.
G. Rabin: Arabiyya: (l'arabe pré-classique. EI 2, T1 pp.579 - 585

المزارعة ببعض ما يخرج من الارض، وهو الخِبْرُ ايضا، والخبير: الأكّار (أي المزارع) ومن اجتماع السّائل والكلا والمكان المنخفض نشأ معنى رابع، فالخَبرُ والخِبْرُ: المزادة العظيمة (أي الظرف الذي يحمل فيه الماء كالرّاوية والقربة والسطيحة) والخَبْرُ والخِبْرُ ايضا: الناقة الغزيرة اللبن، وفي هذا شيء من التخفي والاستتار لان الماء في المزادة واللّبن في الضرع محتجبان احتجاب الواحة التي لا تكون الا في هدأة من الارض، فكان المَخْبَرُ خلاف المنظر.

وكما هو الشأن في كل مكنون غدا بحاجة الى حظ من المعرفة والتجربة والخبرة ليحاط به، فكانت من ذلك المرحلة الخامسة في مسيرة هذه المادة، فالخَابِرُ: المختبر المجرّب، والخِبْرُ والخُبْرُ والخِبْرَةُ والخُبْرَةُ والمَخْبَرَةُ والمَخْبُرَةُ كلهُ: العلم بالشيء، ومنه قولهم: لأُخْبِرَنَّ خُبْرَكَ، اي لأعلمن علمك، واخْبَرَهُ خُبُورَهُ: أي أنبأه ما عنده.

ومن ثمة تولّد المعنى السادس، وهو من الخامس بسبب متين، اذ أصبح يعني خلاصة العلم ودليله اي الإعلام فالخَبَرُ ما أتاك من نبا عمن تستخبر.

هذه هي المراحل التي بدا لنا ان مادة «خ ب ر» قد قطعتها، وقد ألفينا أهل العلم يتعاورونها وينزلونها من شبكة المعارف العربية منزلة رفيعة حتى غدت مندسة في كل هذه المعارف، شائعة فيها، حاملة لطابع جوهري من طبائع الثقافة العربية الاسلامية في طور نشأتها واشتداد عودها.

حين نردّ الطرف الى المعاني التي نسبها الفيروزابادي وابن منظور الى الكلمات المشتقة من مادة «خ ب ر» نلاحظ انهما لم يوليا كلمة «خبر» في معناها الاصطلاحيّ عناية مخصوصة. فاذا عدنا الى «كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم» ألفينا صاحبه يقول «ان العلماء اختلفوا في تحديد الخبر، فقيل لا يحدّ لعسره، وقيل لانه ضروري، وقيل يحد

واختلفوا في تحديده»[4].

ومن المنطقي ان نضع حدّا فاصلا بين المفهوم اللغوي للخبر ومفهومه الاصطلاحي، اذ الخبر لغة، حديث او نبأ أو إعلام، وهو «الكلام الذي يدخل فيه الصدق والكذب»[5] وهو بهذا المعنى لا يرتبط بشكل ولا بإطار ولا بقواعد ولا بشروط مهما يكن نوعها.

أما معناه اصطلاحا فأضيق مجالا، ذلك ان الخبر من الناحية الدينية هو الحديث المنقول عن الرسول. «والمحدثون استعملوه بمعنى الحديث»[6] وبهذا المعنى استعمل الجاحظ هذه الكلمة في «البيان والتبيين» حيث قال: «وفي الحديث المأثور والخبر المشهور ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: شعيب خطيب الانبياء»[7].

وبهذا المعنى ايضا وردت كلمة «الخبر» عند الحريري في المقامة السّاويّة حيث قال «آنست من قلبي قساوة حين حللت ساوة فأخذت بالخبر المأثور في مداواتها بزيارة القبور»[8]، وهو يشير ههنا الى الحديث النبوي «عودوا المرضى واحضروا المقابر فانها تزهّد في الدنيا وتذكر الآخرة».

أما من الناحية النحوية فقد اتفق النحاة على ان الخبر هو «المجرد المسند الى المبتدإ»[9] كقولك زيد قائم.

وأما في البلاغة فيقصد بالخبر «الكلام التام غير الانشائي»[10] اذ

---

(4) ـ التهانوي: موسوعة اصطلاحات العلوم الاسلامية. ج 2. منشورات شركة خياط للكتب والنشر ـ بيروت. د. ت ص 411.

(5) ـ م. ن. ص 411.

(6) ـ الزبيدي: تاج العروس ج III

(7) ـ الجاحظ: البيان والتبيين ـ دار الكتب العلمية. بيروت. د. ت. ج 3. ص 200.

(8) ـ ابو العباس احمد بن عبد المؤمن القيسي: شرح المقامات الحريريّة. ج 1. ط 2. المطبعة الكبرى الميرية، بولاق مصر 1300 هـ ص ص 174 ـ 175.

(9) ـ التهانوي: موسوعة اصطلاحات العلوم الاسلامية. ص 410.

(10) ـ م. ن. ص 410.

الكلام لا يعدو ان يكون خبرا او انشاء وبهذا المعنى وردت الكلمة عند المناطقة والمتكلمين.

غير ان هذه الكلمة قد فاضت عن الاطر التي ذكرنا وكان لها حظوة عظيمة في كتب الادب، واختص بها أناس عرفوا بالاخباريين او أصحاب الاخبار. وفيما كتب الجاحظ إشارات تدل على ان الاخبار ظلت مرتبطة بالمشافهة، فكانت بذلك في تقابل مع المكتوب. يقول: «وقد جمعنا في هذا الكتاب جملا التقطناها من أفواه أصحاب الاخبار»[11]. ويقول متحدثا عن احدى الخطب «وأول هذا الكلام مستكره، وهو موجود في كل كتاب، وجار على لسان كل صاحب خبر»[12] وهو يردف ذلك باحتراز واضح يلقي فيه على عاتق الراوي مسؤولية صدق الخبر او كذبه، ويحصر مهمته هو في التدوين فيقول «وانما نكتب لكم ونخبر بما سمعناه والله أعلم باصحاب الاخبار وبكثير منهم»[13].

ولعل هذا المعنى يؤكده ما جاء في الاحاديث النبوية من ارتباط بين الخبر وبين معان واضحة الصلة بالمشافهة من ذلك قوله صلى الله عليه وسلم «ليس الخبر كالمعاينة»[14]. وفي الحديث مقابلة صريحة بين الخبر بمعنى السماع والمعاينة اي المشاهدة، وقوله «عدّة المتوفى عنها زوجها من يوم يأتيها الخبر»[15]، وقد وردت كلمة الخبر ههنا بمعنى النعي، وقوله «أبكي على خبر السماء انقطع»[16] ومعنى الخبر هنا الوحي.

على أننا كثيرا ما نجد كلمة الاخبار بصيغة الجمع في عناوين

(11) ـ الجاحظ: البيان والتبيين. ج 2. ص 9.
(12) ـ م. ن. ج 1. ص 202.
(13) ـ م. ن. ج 2. ص 29.
(14) ـ أ. ي ونسنك و ي. ب. مسنغ: المعجم المفهرس لالفاظ الحديث النبوي. دار الدعوة استانبول 1987. دار سحنون ـ تونس 1987. ج 2. ص 5.
(15) ـ م. ن. ص 5.
(16) ـ م. ن. ص 5.

كتب تدل على سرد للاحداث يساير فيه صاحبه حوادث التاريخ على غرار «اخبار اليمن» لعبيد بن شرية الجرهمي او «أخبار مكة» للازرقي، وفي هذا السياق تندرج الكتب التي أشار اليها ابن النديم في «الفهرست» «في أخبار الاخباريين والرواة والنّسّابين وأصحاب السير والاحداث [. . .] وفي اخبار الملوك والكتّاب والمترسلين وعمال الخراج واصحاب الدواوين وأسماء كتبهم»[17]. وقد أورد صاحب «الفهرست» عناوين كتب كثيرة بلغ عددها 105 حسب فهرس الكتب الذي أثبته محقق «الفهرست» رضا تجدد المازندراني، منها «كتاب اخبار الحجاج» و«كتاب أخبار الحسن بن علي ووفاته» و«كتاب أخبار خلفاء بني العباس» و«كتاب اخبار صاحب الزنج» وغيرها. وهي عناوين توحي بان الغرض من وضع هذه الكتب تأريخي اذ يروم اصحابها فيها ان يجمعوا الروايات التي تعرضت الى شخصية او جماعة او عصر، ولعل دورهم لا يعدو النقل والجمع والترتيب.

غير ان ابن النديم يذكر عناوين كتب اخرى من قبيل «كتاب اخبار الجن» و«كتاب اخبار الجن وأشعارهم» وهي تنأى بنا بداهة عن السياق التاريخي وتدخلنا في حيّز جديد لا يحدّه الواقع التاريخي، وانما تتخلله الاساطير والخرافات والأعاجيب.

هذا النوسان بين التاريخي والاسطوري واضح تمام الوضوح في كتاب من اقدم كتب الاخبار هو «أخبار عبيد بن شرية الجرهمي في اخبار اليمن واشعارها وانسابها»[18]، فالصبغة التاريخية بارزة في عنوان الكتاب وفي متنه اذ يوصف فيه عبيد بأنه «أدرك ملوك الجاهلية وهو أعلم من بقي اليوم في أحاديث العرب وأنسابها»[19]. غير ان الكتاب مكتظ

---

(17) ـ ابن النديم: الفهرست ـ تحقيق رضا تجدّد. دار المسيرة ـ بيروت ط 3. 1988 ـ ص ص 101 ـ 129.

(18) ـ طبع في مجلد واحد مع كتاب التيجان لوهب بن منبه في مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية. حيدر آباد ـ الهند. 1347 هـ

(19) ـ م. ن ص 312.

بأخبار أسطورية من قبيل ما ذكر عن أبرهة بن الرائش من أنه «كان يدعى ذا المنار، وكان من اجمل اهل زمانه فيما يذكر فعشقته امراة من الجن يقال لها العيوف ويروى انها الهيوف بنت (كذا) الرابع، فتزوجها فولدت له العبد بن أبرهة . . .»[20].

فلا شك والحالة هذه في ان ما كتبه شارل بلاّ في مقال «حكاية» بدائرة المعارف الاسلامية من ان «لفظ الخبر وان لم يكن صادقا كلّه في نظر النقاد فليس من الجائز مبدئيا ان يستعمل للدلالة على قصة مخترعة»[21] يحتاج منا الى مزيد التثبت.

ومن هنا يمكن ان نتحدث عن الخبر بوصفه مندرجا في دائرة مخصوصة هي دائرة القصص فالسمعاني يذكر في «الانساب» انه «يقال لمن يروي الحكايات والقصص والنوادر الاخباري»[22].

ولئن كانت الاخبار ههنا اسما عاما دالا على الكل الذي تندرج فيه فنون قصصية دنيا، فانها يمكن ان تكون دالة على الجزء اذ هي عنصر من العناصر التي تتألف منها ثقافة القصاص. فالجاحظ يقول «ومن القصاص ابو بكر الهذلي [. . .] وكان خطيبا بيّنا صاحب اخبار وآثار»[23] وهذا الكلام يشي بأن الاخبار من مكونات القصص.

غير أننا نعثر في مقدمة كتاب «البخلاء» على اشارة بالغة الشأن في هذا السياق تقطع بوجود ضرب من الاحتواء الذي لا يبعد ان يكون مراتبيا. يقول ابو عثمان، «فاما ما سألت من احتجاج الاشحّاء ونوادر أحاديث البخلاء فسأوجدك ذلك في قصصهم ـ إن شاء الله تعالى ـ مفرقا، وفي احتجاجاتهم مجملا، فهو اجمع لهذا الباب من وصف ما

---

(20) ـ م. ن ص 406.

(21) ـ Charles Pellat: Hikaya: EI 2. p 381.

(22) ـ السمعاني: الانساب. ص 21.

(23) ـ الجاحظ: البيان والتبيين. ج 1 ص 196.

عندي دون ما انتهى الّي من أخبارهم على وجهها»[24]، ومن هذا القول يتجلى لنا أن النوادر تندرج في القصص وان القصص تندرج في الاخبار.

ومن هذه المرتبة يتضخم معنى الخبر حتى يتاخم حدود النثر فيستعمل مقابلا للشعر «ومثل هذا لا يثبت الا بان يستفيض في الشعر ويظهر في الخبر»[25].

ولئن كانت لفظة «الخبر» على هذا النحو من التقلقل والتذبذب والتراوح بين الضيق والاتساع، فان في الثقافة العربية فنونا اخرى او قل ضروبا من المعارف ارسخ قدما، مما يمكّننا من دراسة الوشائج التي تربط بينها وبين الاخبار.

فليس من شك في ان الشعر قد نما بمعزل عن الاخبار ولعل هذا ما يفسر لنا الفصل بينهما في عبارات من قبيل ما أورده ابن قتيبةفي كتاب «المعارف» عند حديثه عن يزيد بن بكر بن دأب، وقد قال عنه إنه «كان عالما بأخبار العرب وأشعارها»[26]، غير ان هذا التمييز بينهما ليس طلاقا، فما اكثر ما تعج الاخبار بالاشعار التي تضمّن في النص النثري وكأنها تشد أزره وتشهد بصحته. وهذه الظاهرة متقدمة نجدها عند عبيد بن شرية الجرهمي الذي يروي الخبر ويرفده بشعر فيقول له معاوية «لقد جئت بالبرهان في حديثك يا عبيد»[27]، وهو في بعض الاحيان يستنشده شعرا «قال معاوية أقيل في ذلك شعر؟»:[28] ولعل ذلك متأت من منزلة الشعر وعظم شأنه عند العربي، وهي منزلة دونها منزلة الخبر. يشهد على ذلك ما جاء في «أخبار اليمن» «قال معاوية وأبيك لقد أتيت

---

(24) ـ الجاحظ: النجلاء ـ تحقيق طه الحاجري. دار المعارف بمصر. ط 4 ـ 1971ـ ص 5.

(25) ـ م. ن ـ ص 213.

(26) ـ ابن قتيبة: المعارف. تحقيق ثروت عكاشة. مطبعة دار الكتب ـ مصر. 1960 ـ ص 538.

(27) ـ عبيد بن ثرية الجرهمي: اخبار اليمن. ص 330.

(28) ـ م. ن ـ ص 335.

وذكرت عجبا من حديثك عن عاد وقد علمت ان الشعر ديوان العرب والدليل على احاديثها وافعالها والحاكم بينهم في الجاهلية وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول «ان من الشعر لحكما» [. . .] فهات أسمعني ما حفظت»[29].

ولعل هذه الهيمنة للشعر على النثر هي التي يدل عليها صريح قول الجاحظ في «البيان والتبيين» حيث جعل الشعر أشمل من الاخبار بل حاويا لها. يقول «لو لا شعر الفرزدق لذهب نصف اخبار الناس»[30]. ويمكن ان يكون هذا بابا للخوض في مسألة المفاضلة بين الشعر والنثر وازدراء القصاص على نحو ما يظهر في «البيان والتبيين».

ومن المعارف القارة عند العرب منذ الجاهلية العلم بالانساب، وقد اشتهر من النسابين دغفل النسابة والنسابة البكري وابو اليقظان النسابة وهشام الكلبي وغيرهم. وقد عقد ابن النديم في «الفهرست» المقالة الثالثة لـ«أخبار الاخباريين والنّسّابين واصحاب الاحداث والآداب»[31]. ومختلف الاستعمالات الواردة في «الفهرست» تدل على ان الاخبار تختلف عن الانساب. من ذلك وصفه لعبد الرحمان بن هرمز بكونه «أعلم الناس بانساب قريش واخبارهم»[32]، وعادة ما تجعل الانساب في درجة واحدة مع الاخبار والاشعار، فالشرقي بن القطامي «أحد النسابين الرواة للاخبار والانساب والدواوين»[33] كما كان حماد «راوية للاخبار والاشعار والأنساب»[34]. ويتجلى ذلك في بعض عناوين الكتب الجامعة بين الانساب والاخبار من قبيل كتاب ابي اليقظان النسابة «كتاب نسب خندف وأخبارها»[35].

---

(29) ـ م. ن ـ ص 352.
(30) ـ الجاحظ: البيان والتبيين. ج 1. ص 321.
(31) ـ ابن النديم: الفهرست. ص 101.
(32) ـ م. ن. ـ ص 45.
(33) ـ م. ن. ـ ص 102.
(34) ـ م. ن. ـ ص 104.
(35) ـ م. ن. ـ ص 107.

غير أننا نجد احيانا ان العلاقة بين الاخبار والانساب علاقة احتوائية، فهذا ابن النديم يتحدث عن سعد القصير فيصفه بانه «كان ناسبا، وعنه اخذ العتبي اخبار اهله ومناقبهم وأشعارهم»[36]، ومثل هذا الاستعمال يشي بأن الاخبار لا تعدو ان تكون جزءا من الانساب.

أما ابن خلدون في «المقدمة» فانه يعرف الادب بكونه «ذكر المهم من الانساب الشهيرة والاخبار العامة»[37] وكأنه بذلك يقلب المعادلة فيجعل الاخبار ـ وقد وصفها بالعامة ـ أعم من الانساب التي تغدو ـ والحالة هذه ـ جزءا من الاخبار، ومهما يكن من امر فان الترابط بين الاخبار والانساب أيّا كان مغزاه دال على ان اهل العلم كانوا يميزون بينهما وعلى ان الخبر وثيق الصلة بالجانب البيوغرافي التاريخي.

واذا نظرنا في الصلة بين الاخبار والطبقات وجدنا ان الطبقات قوامها الشعر المعزز بالاخبار المسندة شأن «طبقات فحول الشعراء» لابن سلام الجمحي، وقد دأب فيها على استعمال فعل «أخبرنا» وان كانت الاخبار ههنا متصلة اوثق اتصال بالشعر فهي في خدمته توضح مناسبته او رأي النقاد فيه، ومن ثمة جاز لنا القول ان الطبقات انما تعتد بالخبر من حيث هو عنصر لتوضيح الاشعار. فالطبقات حينئذ أشمل من الاخبار وأعمّ.

وكذا الامر في الامثال التي ترفد عادة بما يفسرها من ظروف قولها وشخصية قائلها وغير ذلك، ولئن صرح الميداني بقوله: «ذكرت في كل مثل من اللغة والاعراب ما يفتح الغلق، ومن القصص والاسباب ما يوضح الغرض ويسيغ الشرق»[38]، فان حمزة بن الحسن الاصبهاني (ت 351هـ) يقول في «الدرة الفاخرة في الامثال السائرة» «أبدأ الآن في

---

(36) ـ م. ن. ـ ص 103.

(37) ـ ابن خلدون: المقدمة ـ دار الكتاب اللبناني ـ 1956. ص 1038.

(38) الميداني: مجمع الامثال ـ تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. ج 1 ـ ط 1. 1959 ـ مطبعة السعادة بمصر. ص 4.

تنسيق الامثال [. . .] مفسرة باسبابها واخبارها»[39]. والناظر المحقق في هذين القولين يرى أنهما دائران على تصور واحد، يتمثل في ان المثل يحتاج الى توضيح الاسباب التي قيل فيها والقصة التي أدّت الى قوله، الا ان الميداني استعمل عبارة «القصص والاسباب» في حين استعمل الاصبهاني عبارة «اسبابها واخبارها»، ويؤول بنا ذلك الى نتيجتين: أولهما ان الخبر والقصة استعملتا في سياق واحد فهما اقرب الى ان يكونا مترادفين، وثانيتهما ان الخبر ـ في هذا المعنى ـ قصة يؤتى بها لتوضيح المثل وتأطيره، فهو بذلك داخل تحته.

ولعلنا يمكن ان نجعل هذا الرأي منطبقا ايضا على كتب التراجم، فهذا ابن قتيبة في «الشعر والشعراء» يتحدث «عن الشعراء وأزمانهم وأقدارهم وأحوالهم في أشعارهم وقبائلهم وأسماء آبائهم ومن كان يعرف باللقب او بالكنية منهم وعما يستحسن من أخبار الرجل ويستجاد من شعره»[40]. وظاهر ان الاخبار ههنا جزء من أدب التراجم كما انها جزء من أدب السيرة. فكأنها ـ والحالة هذه ـ غدت مادّة أوّلية تتحكم في كل أضرب التواليف التي ازدهر امرها منذ الصدر الاول من الحضارة العربية الاسلامية.

على هذا النحو حاولنا ان نتتبع معاني «الخبر» في المعاجم اللغوية ومن الناحية الاصطلاحية وفي كتب الادب، وسعينا الى اثارة جملة من القضايا واستجلاء فئة من الخصائص التي تعلقت بهذه الكلمة من خلال اوجه الاستعمال المختلفة التي اتصلت بها والسياقات المتنوعة التي وردت فيها.

ولئن كانت معاني الكلمة في المعاجم غزيرة تنم عن تطور في

---

(39) ـ حمزة بن الحسن الاصبهاني: الدرة الفاخرة في الامثال السائرة. تحقيق عبد المجيد قطامش، ج I دار المعارف بمصر 1972 ـ ص 67.

(40) ـ ابن قتيبة ـ الشعر والشعراء ـ علّق عليه ووضع حواشيه د. محمد يوسف نجم ود. احسان عباس. دار الثقافة. بيروت. ج 1 ص 7.

دلالاتها، فانها بعد الاسلام قد وجدت مجالا آخر للتطور اذ تمحضت في مرحلة اولى للمشافهة والإنباء. وبذلك تخلصت من معانيها المادية «الماء والارض والنبات وغيرها». ثم تسربت بعد ذلك الى مجال التاليف فاخذت معاني مختلفة حسب السياق وربطتها بمختلف المعارف التي صنّف فيها العرب علاقات متعددة الاوجه.

غير ان هذه الكلمة العجيبة الثرية قد افتقرت في العصور المتأخرة أيّما افتقار حتى كاد أمرها في عصرنا ينحصر في الدلالة على الانباء التي يتلقاها المرء أو تذاع في وسائل الاعلام المكتوبة والمسموعة والمرئية او الاحداث الطارئة المتعلقة بالافراد وغيرهم. ولكننا لم نتطرق في عملنا الى هذا الوجه من وجوه التحول الذي شهدته هذه الكلمة، واقتصرنا على تطور الكلمة معنويا في العصور المتقدمة.

ومهما يكن من امر فان تنوع مراجعنا وامتداد الفترة الزمانية التي أخذت منها يجعل محاولتنا هذه عرضة للقصور. فليس الامر في نظرنا الا تحسسا لموضوع لا يزال محتاجا الى العودة اليه والاستقصاء فيه بمزيد من الدقة والشمول.

محمّد القاضي

اعـلاميا، لكسب جهـود المختصين في مجال المعجمية ومشاركتهم في الاقـطار العربية، وذوي الخبرة والاختصاص والصلة من المهتمّين في هذا المجال في العالم.

ـ سابعا :

يشكر المشاركون في الندوة جمعية المعجمية العربية بتونس، ومن اسهم معها في تنظيم هذه النذوة على دعوتهم الى المشاركة فيها، وعلى جهودهم في انجاح اشغالها، ويباركون خطواتهم، ويحثونهم على الاقدام على تحقيق هذا المشروع الحضاري العملاق، ويساندونهم في ذلك.

كما يشكرون للجمعية إتاحتها فرصة الانضمام اليها، والحصول على عضـويّتهـا، ليكـونوا أعضاء عاملين ملتزمين بالعمل على تحقيق أهدافها العلمية القومية الحضارية النبيلة.

ولا ينسـون تسجيل شكرهم الى من أبدوا استعدادهم لوضع خبراتهم وخبرات مؤسساتهم في سبيل تحقيق هذا المشروع.

والله ولّي التوفيق

تونس في 17/ 11/ 1989